

نسيم السحر

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيايد

المتوفى ٨٣٢ هـ

المختصر

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيلاني

الحسيني الشاذلي الترقاوي



وبه نستعين

الحمد لله مبدع المعاني والصور، ومبين آثار كمال الأثر ومظهر عجائب الوجود من خزائن جوده بقضاء وقدر.

أحمدته بمقتضى جماله وجلاله كما أمر، وأشكره على جميع أفعاله وإنما المزيد لمن شكر، وأصلي على نبيه المخصوص بتجلي ذاته في ظهوره بين من ظهر «محمد» بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فخر آل مضر، صاحب الوسيلة العظمى والمكانة الزلفى، واسطة من يأتي ومن غير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته الذين هم خير البشر، وشرف وعظم ومجد وكرم ثم صلى وسلم.

أما بعد، فإن هذه رسالة سماها لسان القدر بكتاب نسيم السحر، عرج بالروض ثم غير فهب عليه من المسك أثر، وحكى شذاه بعض صفات البشر.

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني عشر من كتاب (الناموس الأعظم). والقاموس الأقدس، في معرفة قدر النبي ﷺ، قد جمعته على اثني عشر فصلاً كلها مواضع منظومة بمعاني الحقائق موسومة شاملة لكل طور في الحقيقة، جامعة لكل سر من أسرار الطريقة منبهة على كل معنى ودقيقة، منهية ببعض ما ورد من أوصاف خير الخليقة ﷺ وعلى آله وصحبه ذات كل رقيقة، إلا أني جعلت كل فصل من هذه الفصول الاثني عشر مبنياً على خلق من أخلاقه الشريفة العظيمة المنيفة أعاد الله علينا من بركاتها وأفاض على قلوبنا من نفحاتها «وهذه» فهرست الفصول:

الفصل الأول: في سر تخليته ﷺ واعتزاله عن الناس لانفراده بربه ورياضته الأيام ذوات العدد مرة بعد أخرى في غار حراء عند بداية أمره لا الانتهاء.

الفصل الثاني: في سر رعيته للأنعام والشاء والأغنام، زمان الصبا ودرك الأحلام.

الفصل الثالث: في سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام.

الفصل الرابع: في سر قوله ﷺ: جعل رزقي تحت ظل رمحي.

الفصل الخامس: في سر قوله ﷺ: المرء حيث وضع نفسه.

الفصل السادس: في سر تحبيب النساء إليه وتكثيره من الزوجات وكون ما أحب منهن حل له نكاحها دون زوجها في محكم الآيات، ونكته انقطاع هذا الحكم بعد وقت من الأوقات.

الفصل السابع: في تحبيب الطيب إليه.

الفصل الثامن: في سر جعل قرّة عينه في الصلاة.

الفصل التاسع: في شوقه ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده.

الفصل العاشر: في سر قوله ﷺ لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

الفصل الحادي عشر: في سر قوله ﷺ: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الفصل الثاني عشر: في سر قوله حال انتقاله إلى ربه بل: «الرفيق الأعلى»^(١) من الجنة وتكراره لذلك ثلاث مرات، وكونه آخر كلامه ﷺ، والله المستعان وعليه التكلان وهو المسؤول أن ينفع به سائر الإخوان، نعم وجميع من وقف على كتابي هذا من أهل الإيمان إنه قريب مجيب منان راحم رحمن.

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات باب دعاء النبي ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى» حديث رقم (٦٣٤٨).

الفصل الأول

في سر تخليه ﷺ واعتزاله عن الناس لانفراده
بربه ورياضته الأيام ذوات العدد مرة بعد أخرى
في غار حراء عند بداية أمره لا الانتهاء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انفرد بالذات في كثرة ظهوره بحقائق
الأسماء والصفات للتجلي بالأحادية لذاته في ذاته بذاته من وراء سائر النسب
والاعتبارات وفوق جميع النعوت والإضافات، وخلق حقائق معاني الكمالات،
الواحد بالظهور في التعينات، الكثير بالنعوت في الشؤون والمجالي المتنوعات،
الكبير بالعظمة والتعالي، اللطيف بالقرب والتداني، العظيم بالعزة والكبرياء، القديم
بالوجود والبقاء، قيوم الوجود المفيض بمقتضى قوابلها من خزائن الكرم والوجود،
معطي كل حقيقة حقها من النقص والكمال، ومنشيء كل ذرة على حسب مقتضى
ذاتها للبقاء والزوال، أحمده بنعوت الكمال وأثنى عليه بأوصاف الجلال وأشكره
بصفات الجمال حمداً ما فتىء في الآباد والآزال، وثناء ما برح لسانه ولا زال،
وشكراً ما انفك لئنواله السرمدي والإفضال، وأصلي على نبيه المخصوص بالخلق
العظيم المتخلق بالدين القويم الذي أسري به ليلاً لنقله من المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى إلى العرش الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صلاة
وتسليم، إخواني أفيقوا من هذه الغفلة قبل انقضاء زمان المهلة، وجردوا لمقاصدكم
السنية سيوف العزم من أغمار الهمم العلية وتخلوا للشغل بالمحسوب فعسى ولعل أن
يحصل المطلوب :

يا من أراد الفوز بالأحباب هلا اشتغلت بهم عن الأسباب

تهوى الحبيب وتبتغي بدلاً به هذا لعمري أعجب الأعجاب

يا من يريد الخَلَّ يصحب غيره إن كان حقاً من أولي الألباب
لم يتسع قلب الفتى في شغله إلا لشيء واحد وجناب
فاترك سواهم إن أردت وصالهم واهجر هواك وسائر الطلاب
وتخل معهم ساعة في خلوة قد نزهت عن مانع وحجاب

وما تخلى في غار حراء ﷺ عن سائر الورى إلا لعلمه أن الحبيب غيور. ولا
يسكن قلباً فيه للغير عبور. الوحشة عن الخلق دأب المستأنسين بالحق، والانفراد في
البراري والكهوف. علامة كل واله بالحبيب مشغوف. والخلوة عن الخلق تنتج
الجلوة من الحق، إذا لم تجد الأنس أنس. وقفت مع المحبوب بلا حس. كلما قلَّت
مسموعات الآذان ومرثيات الأبصار، قلَّت وساوس الصدور وهواجس الأفكار،
وزالت عن القلوب أصدية الأكدار، فانهمكت بمحبتها الأرواح، والأسرار،
واسترسلت في الاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار:

طابت بمن أهواه لي خلوتي وتواترت منه به الجلوات
لا عيش إلا عيشتي بأحبتى صارت بهم كالجنة الفلوات
ما لي وللدنيا وساكنها ولي عنها بوصل أحبتى سلوات

قد يثقل على النفوس فراق بعض المألوف والمأنوس ويخف على الأرواح في
حب من تهواه فراق الأشباح فإن كنت نفسانياً، أخذت إلى الأرض. وركضت في
طولها والعرض، وإن كنت روحانياً في الهوى طرت إلى المحبوب إلى النوى،
وفارقت طبعك والهوى، ما ارتاض خير الأنام في غار حراء من البلد الحرام بترك
الطعام والمنام والأنام والكلام إلا لعلمه بأن مقتضيات الجثمان شرك الشرك
والكفران، كلما قوي حكم الجسم على القلب ضعف حكم الأرواح، وإذا قوي
سلطان الروح ضعف قوة حكم الأشباح فأضعف النفس بالجوع. وقوى الروح بترك
الهجوع، واتقى الوسوس بقلّة الكلام، وأخل الوقت مع المحبوب بترك الأنام:

قد خلا الوقت بمن أهوى وطاب ونأى عن وقتنا الواشي وغاب
سمح الدهر بطيب الملتقى يا لها حضرة وصل تستطاب
نام عنا عين من يرقبنا وتجلي الخَلَّ من غير حجاب
لا رمتنا في النوى حادثة إنما البعد عن الحب عذاب
لست أخشى ريب دهر في الهوى أنا في ظل حبيبي لا أصاب
ليس يدري زماني أين أنا قد تخليت بخلي في مأب

عجباً لي ما أرى من أحد غيري في الناس فذا شيء عجاب
ترك الطعام والشراب، صقل القلوب والألباب، النوم أخو الموت، اتركه
تحبي، وترى ذاك المحيا، الناس يشغلونك عن المحبوب، فاجعل دأبك تركهم تنل
المطلوب، كثرة الكلام تعقب الوسوس، وتركه يجلو القلب من الصدأ والدسائس،
فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي، لو كانت الممالك تنال بدون ارتكاب المهالك
ما شج رأس سيد المرسلين ولا كسرت رباعيته، هذا وهو نبي وآدم بين الماء
والطين، ولو كانت المعارف تقتضي عدم الاجتهاد والجد في حصول المراد لما شد
لشدة الجوع بطنه بالحجارة سيد العباد، أركب المهالك في الحال إن أردت الحقوق
بالرجال. وثق بالله لا تخشى في ركوب المهالك من ضير فقد كان بعض الشيوخ
ينادي في أصحابه: يا هذا ما هالك فارتكبه ما ثم إلا خير، وما أحسن قول من قال:
من لم يرتكب المهالك لم يبلغ مبالغ الرجال:

دعني أسير على الجفون مهرولاً	نحو الحبيب ولو على الأرماع
لا خير فيمن ينثني عن خله	خوف البلاء وخشية الإفضاح
لو كان بيني والحبيب جهنم	لولجتها بالروح والأشباح
أو كان من أهواه في أفق السما	لأطير لو قص الغرام جناحي
لا صبر لي عمن هويت ولم أزل	أدنو عليه عشيتي وصباحي

الفصل الثاني

في سر رعيته للأنعام والشاء والأغنام زمان الصبا ودرك الأحلام عليه أفضل الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أسقط ظل جماله على بساط كماله، فكسا الوجود محاسناً من نعته وجلاله، خلق على صورته الخليفة آدم واستخلفه على الخليقة في العالم، فدبر به ذلك الوجود وأجرى على يديه كل فيض وجود، علمه بالفطرة الأصلية أسماء الحقائق الوجودية ليحيط علماً بمملكته، إذ لا ينبغي للملك أن يكون جاهلاً برعيته، وأسجد له كرام خلقه المقربين عنده بما تقتضيه شرف مرتبته وتعليماً لهم بكمال قدره وعلو منزلته ليحفظوا بالسجود له فيسعدوا بخدمته، فكان أول ما منّ عليهم من التأديب والتعليم والتهديب والنهي لكمال تقتضيه حضرة الحبيب أن رقاهم بالتدريج والتعليم من حضيض عجب ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ [البقرة: ٣٠] إلى أوج اعتراف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا مَا عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]:

اخضع لمن تهواه ثم تذلل	والشم تراب حمى علاه وقبل
لا تدعي عند الحبيب مكانة	دعوى المحب ردية لم تجمل
أدب الحضور مع الأحبة ذلة	لك يحيى في عز الوصال الأفضل
لا تبغ منه سوى إرادته التي	اختارها لك في الزمان الأول
واصبر على ما تبتغيه ولا تكن	متعرضاً في أمره وتحمل
إن يقبلوك تعظفاً فبفضلهم	أو يطردوك فعنهم لا ترحل

كان إبليس مع الملائكة كذا وكذا ألف سنة ما أخرجه من بينهم إلا ظهور الخليفة قال له لسان حال آدم ليس للأندال أن يجالسوا أهل المراتب الشريفة فانزل إلى مقتضى طبعك الأنزل، ومحل سجنك الأسفل، ومستدعى طبيعتك الكثيفة من هذه المنزلة العالية المنيفة، فقد مضى زمان لعب الذئاب بين الأغنام، وجاء الراعي

بعضاه ليرد كلاً إلى مرتبته من الإهانة والإكرام.

أمرُ الوجود على نظام مُحكم
فإذا رأيتَ خلافَ ما تبغي فقل
في كل وقتٍ للأمورِ مدير
مستخلفٌ لله في أرضٍ له
إن كنتَ من أولادِ آدمَ يا فتى
إن الخلافةَ لم تزل تأتي على
هذا تراه بعدَ ذاكَ وبعده
خلفاءُ حقٍ للإلهِ بملكِهِ
أتوا مقاليدَ السمواتِ العُلى
فهُم الملوكةُ ومن سواهم عبدهم
نَفَذتْ أوامِرُهُم على كل الورى
لا يسألون إذا أتوا فعلاً ولا
بل يفعلون بلا مخافةٍ لائم

يجري بتدبيرِ الحكيمِ الأحكم
طوعاً وسمعاً للعلیمِ الأعلم
قطبٌ عليه مدارُ الأمرِ المبرم
جاءتهُ تلكَ ورائةٌ من آدم
فاطلبتَ خلافتَهُ بإرثٍ واغنم
سننٌ إلى أهلِ الكمالِ الأعظم
هذاكَ في حكمِ القضاءِ المُحكم
يقضونَ ما يبغونهُ بتحتِ
والملكِ والملكوتِ حقاً فاعلم
لهم على المخلوقِ كلُّ تحكُم
من غيرِ نقضٍ وغيرِ تلوُّم
يقضونَ أمراً معقباً لتندم
أفعالهم عدلٌ بغيرِ تظلم

وما جعل ﷺ راعياً للأغنام قبل دركه الأحلام إلا تنبيهاً على أنه الراعي الأعظم المتصرف المستخلف على تدبير العالم، أما تراه قد شفع في الأول حتى عفى عن آدم، وسيشفع في الآخر لأولاده بالخلاص من جهنم، كل يقول نفسي نفسي خوفاً من الأمر المبرم لكونهم رعية يقول قائلهم: لا أملك إلا نفسي لكنما الراعي الأعظم يقول: أمتي أمتي لأنه راعيهم و«كل راع مسؤول عن رعيته»^(١) فاعلم، فهو الموجود عند شدائد الوجود، وهو المنفس في الضائق عن سائر الخلائق:

نحن الذين إذا ضاقت مسالكها
لا يخشى أبداً ضيماً مجالسنا
ونحن ذمة في الدهر يعرفنا
فجاهنا واسع والفيض متصل
لنا المكانة في العليا وشيئتنا
بعث ﷺ إلى الأحمر والأسود والفصيح والأعجم فيكون رحمة للعالمين . فلا

كنا لها نفساً بالسيف والكرم
ولا يخاف من البأساء والنقم
يوماً فلم نخش يوم الحشر من ضرر
وفضلنا شائع في سائر الأمم
بذل المكارم والإحسان من قدم

(١) رواه البخاري: كتاب العتق، باب العبد في مال سيده، حديث رقم (٢٥٥٨) وأوله: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته...» الحديث. ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (٦٠٣١).

تظن رحمته مخصوصة بالمسلمين والمؤمنين فإنه ليختلج في باطني أنه سيشفع في الخلق أجمعين. ألا تراه يقول ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر»^(١) ليت شعري هل يصل إلى من يكون تحت لواء محمد شيء من الشر ما هذا ظني بذلك العظيم القدر، وقد صح أنه قال ﷺ: «إن الله قد وعده أن يعطيه ثلاث حثيات بيده ممن قد استوجب النار»^(٢). وأظن الأنس والجن بأجمعهم دون حثية من حثيات يد الله الملك الغفار.

ألا قل لمن أمسى سهير المعاطب	وحفت به الأهوال من كل جانب
بأحمد تنجو من بلاء تخافه	فلا تخش بالمختار هول المصائب
هو العاقب الماحي الذي عم فضله	جميع البرايا من عدو وصاحب
أتى آخراً إن السلاطين يا فتى	يكونون حقاً آخراً في المواكب
كأن النيين المحشين قبله	عساكره في الدهر بين الكتائب
فكل الوري للهاشمي رعية	هو السيد الراعي شرقها والمغرب
إليه مقاليد الأمور جميعها	بدنيا وأخرى ومعطي التلازب
عليه صلاة الله ما بلبل شدا	وغنت على أيك طيور الخوالب

لما بلغ عليه السلام عمراً تدرك في مثله الأحلام قيل له اترك رعي الشاء والأغنام فأنت الراعي الأعظم الحقيقي لسائر الأنعام، إنما جعل الرعي لك كالطريقة للتحقيق بما سبق لك في الحقيقة، لا بد لظهور الأمر الموهوب من حركة منك أيها المحبوب، فاسع بالجد كي تنال المطلوب. يا هذا احذر على غنم غنيمة الروح من ذئب شيطان النفس فلا تدع عصا مخالفتها من كنفك خوف النزغ والزيغ واللبس، لولا ما أراد نبيك عليه السلام من تحريضك على مخالفة نفسك وحسن سياسة باطنك على الدوام لما قال لك مربياً بحكمته «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٣) فالحواس الخمس والقوى الباطنة والجوارح الظاهرة جميعاً رعية، راعيها قلبك وعساكر مالك أمرها قلبك فاستعملها في الصالحات فالعدل بها أخرى. إياك أن تستعملها في الموبقات فتشقى بشقائها في الأخرى ذلك ظلم في حقها، وأنت بجزاء الظالم أدري.

العدل من شيم الكرام فلا تكن	يا سيدي فيمن وليت ظلوما
وأحسن سياسة أمر كل رعية	نسبوا إليك وكن بهن رحيماً
فالناس مجزيون بالعمل الذي	هم عاملوه وكان ذا محتوما

(١) رواه السيوطي: الدر المنثور (٦/٣٠١) طبعة دار الفكر، بيروت، وأورده العجلوني في كشف الخفاء،

حديث رقم (١١) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) هذا الحديث سبق تخريجه.

الفصل الثالث

في سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أظهر صور المعلومات فصيرها أعياناً محسوسات مشهودة بمعانيها المختلفة، وعين كل شيء في كل آن بما حكم عليه من التعينات على حسب تنوع معاني التجليات التي كانت سبب إيجاد كل موجود من الموجودات، فعين بالأشياء من عدوة أدنى إلى عدوة قصوى في كل وقت من الأوقات، فخلقها في نفس خلقاً جديداً للتصور بصور الأحوال الطارئات، تشكلاً بأعيانها على هيئة الأمور المقتضية للتقلبات ليكون العالم بما فيه من الأنواع المختلفة مسافراً في كل آن بسبب الترقى والزيادات، فقال عز من قائل منبهاً على ذلك للعبيد بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

سافر يكملك الجمال السافر	نحو الأحبة فالوجود مسافر
ما في البرية واقف في منزل	كل على شرط الترقى سائر
هذا يسير إلى الكمال منعماً	في سيره وله ترقى ظاهر
ويسير آخذاً للكمال منصاً	يخفى ترقيه لمن هو ماهر
كل يسير إلى العلا مترقياً	في منهج أجراه فيه القادر
يجري على حسب الإرادة أمره	وفقاً لأمر يقتضيه الأمر
والأمر يأتي باقتضاء صفاته	في قابلية كل كون دائر
والسير دوري لكل دائماً	ليعود نحو الأصل من هو بادر
فرجوع كل للإله كما بدا	لكن بسعد ظاهر متكاثر
ربح الكمال بسيره فأتى وقد	ظفرت يده بكل خير وافر

السفر الأصلي واحد كلي لا مستطيلاً بل دوري وهو السفر الحق من الحق إلى الحق، من الله كان الابتداء ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمَنِينَ﴾ [النجم: ٤٢]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وعلى منوال أرواحكم تعرجون، وأعداد منازل هذا الطريق عشرة مخصوصة بهذا الفريق، المنزل الأول: علم الله أول ظهور العبد هناك ولا أولية لذلك الظهور لعدم الإدراك، والزيادة الحاصلة للعين الكوني في المنزل العلمي هو تعيينه في العالم بما له من الصفات وثبوته على ما هو له من الأشكال والهيئات بعد أن كان كالقطرة في بحر الذات، المنزل الثاني: هو الكتاب المبين واللوح المحفوظ الذي يظهر فيه العبد على التعيين، وبين هذا المنزل والمنزل الأول سبع منازل خفية يعرفها الكمل، فأربعة منها قديمة وهي الإرادة والقدرة العظيمة وكلمة الحضرة والتجلي المتعلق به أمر ذلك الموجود من التجليات الكريمة، والخامس والسادس والسابع الكوني هو المنزل العرشي والكرسي والقلبي، والزيادة الحاصلة للعبد في هذه المنزلة أنه يصير معلوماً للملائكة المقربين في هذه المرحلة بعدما اكتسب في نفسه البهية أسرار تلك المنازل الظاهرة والخفية، المنزل الثالث: أصلاب ظهور الآباء يتعين فيه العبد كوناً كالذر بل أخفى بعد ما قطع منازل شتى خفية بينها وبين الأولى، فمنها ما هي منازل أفلاكية عليا ومنها ما هو منازل عنصرية أو زمنية سفلى والزيادة الحاصلة في هذه المنزلة لأهل القافلة أن ينهيا العبد فيها للخطاب الأزلي والجواب الأبدي، المنزل الرابع: هي المنزلة الذرية الذي يأخذ الله فيه من ظهور الآباء الذرية فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] لما استعدوا في المنزلة الأولى: للخطاب دعاهم داعي الفضل إلى هذه المنزلة بالترحاب فكانت الزيادة الحاصلة حصول الشرف العظيم بسماع الخطاب القديم وأداء هذا الجواب الكريم.

المنزل الخامس: بطون الأمهات فيما يتعين بالجنين بالأشكال والهيئات بعد قطع منازل كثيرة خفيات، كالمنزلة الحيوانية، وقبلها منزلة النبات، والزيادة الحاصلة للعبد في الأرحام هو تصويره متميزاً بالروح والجسم بين الأرواح والأجسام، المنزل السادس: هو العالم الدنياوي محل الابتلاء والاختبار ودار الزوال والفناء والتعب والأكدار، والزيادة الحاصلة للعبد هو تعيين روحه بما للجسم من العين والأذن واليد والرجل، وأمثال ذلك من الجوارح، وتعين جسمه بما لروح من السمع والبصر والعقل والفكر وأمثال ذلك من الجوانح، فيأخذ الروح خاصية الجسم ليظهر بذلك كمالها، ويأخذ الجسم خاصية الروح وليظهر بذلك كمال الروح أيضاً وما فيها من البهاء، فيعطي الجسم الروح وسع صورته وكل هيئته، وتأخذ معناها مكملها لها بكلية

ليحملها بما حوى معناها إلى مستوى الكمال الذي هو معناها .

أهدت إليك جمالها الحسناء ليزين ذاك الحسن منك جلاء
فاستجل حسناً فائقاً ما فوقه للناظرين محاسن وبهاء
لولا ولادة كلما تهوى لما نكحت لجسمك روحك العذراء
فنكاحها بالجسم أجل ظهور ما فيه وفيها والكمال عطاء
حتى إذا استوفت جميع حقوقها رجعت إلى وطن هو المثلثاء

المنزل السابع: هو البرزخ وهو المحل الذي يكون العبد بعد فراقه عالم الجسم وقبل وصوله عالم الروح الأشمخ، في هذا المنزل تكون الروح لأجل وجود طبع الجسم فيها ذات حكمين متحيرة في أمرها بين نقيضين لوصفين، فإذا غلب حكم الجسم عليها كانت شقية سفلية دخلت معه في سجنه إلى يوم الجمعية، وإن غلب حكمها على الجسم ارتفع بها في الوصف والرسم فصارت سعيدة علوية وسكن معها في السعادة الأبدية إلى يوم القيامة والفوز بالأمنية، والزيادة الحاصلة للعبد في هذا المنزل خلوصه من الموت الجسماني بتحقيق الحياة والعيش الروحاني، وسره فيما كان فيه صورة المعاني لينسلخ بالكلية عند القيام إلى أحد جانبي تلك المباني .

المنزل الثامن: المحشر وهو المسمى بيوم القيامة تقوم فيه حكم الأرواح بالكلية على الطبيعة التي نشأ عليها في المجالي البرزخية، وهي أعنى طبيعة النشأة البرزخية مرتبطة على الأعمال والأقوال والأحوال الأولية وهي التي كان عليها المرء في دار الدنيا من العمل والنية، ليحشر الله الروح متصورة بجسمها ويبعثهما بقدرته عند قيام الروح بالأحكام الروحانية على رسمها، ويحصل فيه جميع ما وردت به الآيات والسنة من الحسنات والميزان والصراط جارياً إما على حكم العدل أو المنة إلى غير ذلك مما وجب الإيمان به حتماً، فتتعين الروح بصورة الجسم وتكون حاملة له غيباً وحكماً، فينستر الجسم في الروح في دار القرار كما كان الروح مستتراً في الجسم في هذه الدار، وكان الجسم ظرفاً للروح في الدنيا، والأمر في الآخرة بالعكس تكون فيه الروح ظرفاً للجسم والنفس، والزيادة الحاصلة للعبد في هذا المنزل، انقطاع حكم الجسم عن الروح مطلقاً، وخلوص أمر الروح تحققاً إلى ما اقتضته نشأته البرزخية المتخلقة من طبيعة أعماله وأحواله الدنيوية، الكائنة من تأثيرات التجليات الحاكمة عليه بمقتضى القابلية المرتبة على التجليات الإلهية النازلة إليه في المحتد الأصلي، ثم المجالي الأقدسية ليرجع إليها العبد حتماً بعد قطع جميع الأطوار الكونية .

المنزل التاسع: إما الجنة وإما النار المخلوقين للبقاء والقرار والفائدة الحاصلة لأهل هذه المنزلة أن العبد يستكمل فيها جميع ما هو له مما اقتضته قابليته من السعادة والشقاوة والبلادة حتى يقطع بقية ما ألزمته الحقائق سيره وأعطته الحقيقة شره أو خيره إلى رجوعه للمركز الأصلي والمحل العلمي على استيفاء ماله من النقص والكمال والبقاء والزوال إما على طريق اليمين وإما على طريق الشمال.

المنزل العاشر: الكتيب لأهل الجنة والأعراف لأهل النار بعد أن يضع فيها قدمه الجبار، والفائدة الحاصلة لأهل هذه المنزلة ذهابهم عن اللذات والآلام بوجودهم لذات الملك العلام، فترجع القطرة إلى البحر وتختلط الذرة بالقفر فيضمحل وجود كل موجود تحت أنوار ظهور دولة الملك المعبود.

وما بقي غير ذات الواحد الأحد	الله أكبر زال الكون أجمعه
حكم الظهور به في دولة الأبد	وهكذا الأمر لكن كان فيه لنا
عيناً فلم يبق غير السيد السند	فعندها ظهرت للعين دولته
وغاب فينا فلم ينظره ذو رمد	وذلك عكس ظهور كان قبل لنا
منه وغيبة في حضرة العدد	ما ثم إلا حضور في تعييننا

إشارة وتنبيه لكل عارف ونبيه اعلم أنا ذكرنا لك وصول تلك النشأة الإنسانية إلى ربها بعد قطع سائر المنازل الأكوانية في السفر الكلي المحيط بكل سفر جزئي، والكلي هو السفر الأصلي المذكور في أول هذه السطور، وأما الخبر المحمدي فسته أسفار متداولة الأسماء بين الأسفار عند الأولياء الأخيار. السفر الأول: نزول الحق إلى الخلق في الأولوية، وحقيقة هذا الكلام هو بروز الخلق من الحق إلى الخلق في الأولوية وهي البداية لا في الكمال والنهاية، وهذا هو السفر الأول مفصلاً فاعرفه منعماً متجولاً. السفر الثاني: صعود الخلق من الجهل إلى العلم للحق. السفر الثالث: صعود الخلق إلى الحق من الخلق ويسمى السفر إلى الله والذي قبله يسمى السفر في الله. السفر الرابع: سفر الخلق في الحق بالحق. السفر الخامس: سفر الخلق من الحق بالحق إلى الخلق. السفر السادس: هو سفر العبد من الحرية إلى العبودية وطرق أهل الحق متفاوتة في الخلق، فمنهم من سار على الترتيب إلى آخر المراتب الكونية بالتدرج والتدريب على مدى عمر الكون الطويل الهائل، ومن القوم من طويت له المراحل وزويت له المسافات بين المنازل فوصل إلى الله وهو في هذه الدار واستقر به عنده القرار فلم يلتفت بعدها إلى جنة أو نار، فلهم في سيرهم منازل مخصوصة أمثال تلك المنازل المنصوصة.

المنزل الأول: البرزخ لأهل هذه الطريقة، فموت نفوسهم المعلومة بالرياضة والمجاهدة برزخ لهم في الحقيقة، على أنهم إذا فنوا عن الأكوان وغابوا في ذات الرحمن حصلوا في الجمعية الكبرى فتلك لهم بمثابة المنزل الحشري في الدار الآخري، فإذا فتح باقيهم الباقي وسقاهم من كأس البقاء الساقى كان ذلك المقام المحفوف بالجلال والإكرام لهم بمثابة الجحيم أو دار السلام، فمن كان من أهل الجلال وسير به سير الفحول من الرجال كان ما يفجأه من صدمات قهر تجليات العظيم المتعال بمنزلة ما يلقاه أهل الشمال في نار الجحيم من العذاب والأهوال ومن ثم يسمى الجهنميون قوم هم الكمل المحققون، ومن كان في القوم من أهل الجمال والإحسان وسير به سير السعداء في ذات الرحمن كان ما وجده من اللذات بتجليات الملك المنان بمثابة النعيم لأهل الجنان، ومن انتقل من هذين البيدين من الرجال من تجليات الجلال والجمال حتى اتصف في ذات الحق بالكمال كان كأهل الأعراف أو الكتيب وما بعد ذلك من النعوت والصفات إلا ما انفرد به الواحد بالذات، فإن كنت من أهل الإدراك عرفت نفسك أو عرفت من ذاك فهناك خذ سلافة القوم بالتصريح في التلويح هـاك.

خذها إليك عديمة الأمثال	في غفلة الرقباء والعذال
واستجل حسناً منك فيك تخاله	لسواك من يلقاك في الأشكال
واحذر تنبهه على الشأو الذي	قد جدت بالتعظيم والإجلال
دعهم على جهل بحالك واجتلي	في خلوة بجمالك المتعالي
حتى إذا جاءت مواطنك التي	فيها ظهور العز والإجلال
فهناك يعرفك الرجال بما بدا	من حسنك الجهم العظيم العالي
فاقض على من شئت من كل الوري	بسحاب فضل هامل هطال
واصنع فدتك النفس ما تختاره	فالملك ملك يديك في الآزال

لكل موطن بضاعة موصولة وسلعة معروفة، فلا تبع جوهره البقاء والكمال في سوق زجاج النقص والفناء والزوال، بل كل الزفر بيد الغير واكتم لديك ما حوت من الخير، أما علمت أن مال متجر رسول الله ﷺ كان منسوباً إلى خديجة لا إليه تنبيهاً لك على ما حرصناك عليه، فلا تقف على ما حوت المنازل وسر طالباً ربح تجارة الكمال والأكمالية في مفاوز المراحل، كما نبهناك عليه في دوام سفر الوجود من البداية إلى النهاية وزيادته في ترقيه إلى الملك المعبود في الأول والغاية، وهكذا صفات الكمال تترقى بزيادة ظهورها في نوعي الجلال والجمال في الآباد والآزال،

فلا تترك طلب الزيادة إن كنت من الرجال فذاك سر تجارة أكمل الأكامل وأفضل الأفاضل إنما كان سفره إلى الشام، لأنه ﷺ من اليمن لهذا ورد عنه: «الكعبة يمانية وأنا يمانى»^(١). في الحديث الحسن يعني أن نفس الرحمن اليماني هو محتد الروح المحمدية في الوجود الرحماني لأنه عن الذات، فكان سفره له هو سفره من ذاته في ذاته إلى الصفات ولهذا جاء إلى بيت المقدس في التنزيل وذلك أعلى محتده في الصفات، للخليل، فجميع الأنبياء وجملة الأولياء مترقين في الصعود والعروج إلى محتده على الدوام، وهو متنزل إليهم من تجليات كماله إلى جلاله وجماله عليه وعليهم الصلاة والسلام، فسفر الكل إلى اليمن أبداً وسفره إلى الشام عليه صلاة الله وسلامه ما هطل هاطل وآله وصحبه الأماجد الأماثل.

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

الفصل الرابع

في سر قوله ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي»

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القيوم القائم الأحد الواحد الفرد الصمد الدائم الذي ستر بنور وجوده الكاتم ظلمة الكون الوجودي العدمي الملزوم واللازم، أظهر نوره متخلفاً بأعيان حقائق الممكنات وكساها من خلع الجمال ما اقتضته شؤون أسمائه والصفات، وجعل كل صفة من صفاته ناظرة إلى كل موجود حكم صفة ليكون مظهر تجليها من بين سائر التجليات لتتحفظ المراتب في العالم على تنوع أحوالها المختلفة، والصلاة والسلام الأتمان الأفضلان الأطيبان الأكملان على سيد الكيان وخير موجود من آل عدنان محمد بن عبد الله حبيب الملك الديان، وعلى آله وصحبه ما اختلف الأولون. إخواني ما اشتغل بالخلق من صدق في طلب الحق، ولا ظفر بالمطلوب من أنس بغير المحبوب، العمر مع الأنفاس زائل وأنت إلى ما سوى الحبيب مائل، كيف تنال منه ما تهواه يا جاهل وقلبك عن الحضور بين يديه لا غافل، قال شيخنا القطب الجليل فخر اليمن أبو الغيث بن جميل قدس الله سره المثل، واعلم أن المطلوب بعد صحة القصد هو الاسترسال في الله هذا وصف المحب مع الأحباب، أما علمت ما أثنى الله تعالى على نبيه أيوب بالرجوع إليه فقال تعالى: ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] يا هذا إذا حرض الله الأنبياء على دوام الاسترسال فيه بالرجوع إليه وملازمة الذهاب فيه بالوقوف بين يديه كيف يستقربك القرار وأنت غير مطرح عليه ولا مقيم عنده ولا عاكف لديه.

ل يسقط اللوى من سفح ذا الوادي	انخ مطيك بالأحباب يا حادي وانز
عنه وظلت حداة الركب والهادي	ما بعد منزل من تهواه مرتحلاً
جد الرحيل ولا مالت لإبعادي	ليت النياق رمت في الهوادج إذ
ولا أمدت بورد الماء والزاد	أم ليتها فقدت طراً قوادمها

مالي وما لرحيلي عن حمى عرب في دارهم من سبا قلبي وأكبدي
المقلقين لقلب فيه قد نزلوا والساكنين لروح بين أجسادني
الضاربين حجاباً من صوارمهم على البدور فلا تبدو بلا إشهادي
هم بغيتي ومنى قلبي وعندهم مأوي حقاً وتأويبي وتردادي
لا أبتغي بدلاً عن أرضهم أبداً إن مت فيها فيا عرسي وأعيادي

ما قال لك الحكيم الأعظم رسول الله ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي»^(١)
إلا تحريضاً على التعلق بالله وتنوياً وتعريفاً لك بما في ظل الواحدية من الكمالات
وتنبيهاً، فإنه كان بالله يصول وبه سبحانه كان يجول فرمحه في المعنى هو هذا الأمر
الأسنى، فالزم العكوف على هذا الجنب فعن قليل يفتح لك الباب وتتعمق بملك
الكمال في ذرى الأحباب.

أدخل به في ظله وانزل بسوح محله
واعكف عليه فرما جاء القري من فضله
لا ترحلن عنه ولو أقصاك عنه بفعله
فالحب قد يرمي الفتى بسهامه وينصله
ليرى مكان وداده منه وغاية شغله
فإذا رآه مبللاً بالود عاد بنزله
وإذا رآه سالياً أقصاه عنه بجهله
فالزم فديتك ذيله لا ترحلن عن ظله

يا هذا من دخل في ظل الحق أمن من شر الخلق وشملته شمائل السعادة
وصحت في حقه نسبة الحرية والسيادة، فكان العبد المطلق المعروف بالعبودية عند
الحق فصار قطرة في بحر سيد المرسلين فالتحق فرعه بالأصل المتين، غدا كلياً بعد
أن كان جزئياً فنال بالتمكين المحمدي مكاناً علياً.

نلت بالخل الأماني والمنى فلقلبي والحشى كل الهنا
قسماً ما فاتني من فاتني بعد أن زار مقامي علنا
من كمثلي وحيبي حاضر قربني منه فضلاً ودنا

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

رفع الحجب فما كان سوى وهم يعد في التناهي بيننا
يا خليلي قفا في منزلي واسألاني حال أهل المنحنا
كلهم عندي مقيم حاضر قد أقاموا بين أرضي والفنا
لا تعداهم حياً وسمية سائلاً صَبّاً كمثلي ديدنا^(١)

من ألزم نفسه على الدوام شهود صورة علمه في الله فعن قليل يحظى بمشاهدة العيان للكمال الإلهي من غير نسبة علم اليقين من عين اليقين، كنسبة طلوع الفجر من الإسفرار إلى بياض الصبح وضوء النهار، ونسبة حق اليقين من حقيقة اليقين تحقّقاً من غير لبس كنسبة ضياء النهار إلى قرص الشمس، وبعض الأمر متصل بالبعض أين المشغول بستمته والفرض:

دع عنك شغلك بالحمى والمنزل وانظر إلى ذات الجمال الأكمل
نزّه لحاظك في محاسنها التي تجلّى على عشاقها في المحفل
ما كالحييب وحسنه وبهائه فا صرف حواسك في المليح الأفضل
لا تقنعن منه ببعض ملاحه لا حدّ للحسن البديع الأجمل
لا تنتهي عن قصده فجماله لا ينتهي وسلوه لم يحمل
فالزم تعلق قلبك العاني به وأهجم على إحسانه بتطفل
فصفاته أن لا يخيب قاصداً فدع الحمى بتخضع وتذلّل
واستحضر الحسن البديع تعمالاً كمخلة نال الفتى بتعمل
لا يوقفنك في الحضيض تأدب أدب الفتى طلب الحبيب الأول

إذا استقام القلب على شهود الأحدية أخذته إلى مكانتها الكمالات الإلهية، فظهرت آثار الأسماء والصفات عليه، وحينئذ يفيض الجعم على القلب بما صار عنده ولديه، فالخير كل الخير في شهود الواحد الأحد وإسقاط الكثرة والعدد، فإن في ذلك الرزق المحمدي وذلك عن الخلق العظيم الإلهي، وإليه أشار بقوله: «جعل رزقي» أي المعاني الكمالية التي بها تتقوى في الترقى إلى ربها الروح المحمدي «تحت ظل رمحي» أي الأحدية، ألا تراه عليه السلام يقول: «اللهم بك أصول وبك أجول»^(٢)

(١) الحيا: الخصب والمطر، والوسمي: مطر الربيع الأول.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠/١٠)، طبعة القدسي، والقرطبي في التفسير (٢٥٦/٣) طبعة دار الكتب المصرية.

فالحق خير عدة لكل في كل شدة به يرمي الرامي ويسمو السامي وينمو النامي .

يا من بهم في الخافقين تهتكى ولأجلهم ذلي وكل تنسكي

بكم ملكت العالمين حقيقة يا سادتي وبكم يحق تملكي

أصبر على الجد والاجتهاد فسوف يفجأ الوقت بغتة بالمراد . أظنك تزعم أن غاية الجد والاجتهاد هو مخالفة النفس والسياسة في مفاوز الأغوار وكهوف الانجاد ، كلا إنها لأسهل شيء على العباد وأقل قدم للسالكين الزهاد ، وإنما الجد عند الرجال الأمجاد دوام تعلق القلب بالمحسوب لحصول المراد ، وضبط الإحساس في الأنفاس على مشاهدة الواحد بنفي الأعداد ، ففي ظل الواحدية رزق الكمل الأفراد .

الفصل الخامس

في سر قوله ﷺ: «المرء حيث يضع نفسه»^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتجلي في سائر المراتب بما هو مستحق له من التفاوت في المناصب على ما هو عليه من العلو والسفل والنقص والكمال والأمر الملائم والمنافر والمضاد والمناسب، كل ذلك بغير حلول فيها أو مزج لها أو اتحاد بها أو انفصال عنها أو اتصال معها في التباعد والتقارب، بل كما يستحقه عز وجل في كماله من المكانة بالذات والوصف، والواجب على ثبوت ما أوجبه له المعنى الكمالي ونفي ما نفاه عنه التنزيه القدسي السالب، فهو الواحد المتعين بحقائق الكثرة المنزه عن المكان المخصوص في تجليه بحقيقة الأمكنة والجهات من كل جانب وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] أي في الملك المشهود أو الملكوت الغائب، والصلاة والسلام على سيد الأنام وخاتم رسله الكرام المبعوث من آل غالب، وعلى كل آل له أو خليفة أو صاحب. أما بعد، فلما كان آدم المعبر به عن الإنسان مخلوقاً على صورة الرحمن، فكان الحق متجلياً بوحدانيته في كثرة الأعيان، ظاهراً بعزة ربوبيته في دولة عبودية الأكوان، كان للإنسان الظهور بكل مرتبة من المراتب في العيان إذ هو من الحق بمنزلة إنسان العين، من على الإنسان لأنه خليفته وللخليفة الظهور بصورة المستخلف السلطان.

يا من أقام وجودي في الهوى بدلا	عنه وصيرني في الحسن مكتملا
ما أنت حاشاك غيري في الورى أبدا	لكنني أنت كن عني إذا بدلا
لبستني فلبست الحسن أجمعه	لما لبستك إذ ألبستني الحللا
قد صرت حيثك لما كنت من قدم حـ	يثي ولا حيث في التحقيق منفصلا

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

جعلت لي منك في التحقيق ما لك من جعلي فكلك كلي واحد أزلا
 إن ادعيت كمالاً أنت تملكه فقد صدقت كما لو ادعى العللا
 فالحسن لي وكذلك القبح من نعتي صفتي بما ينبغي لا تخش من جهلا

سبحان من نفخ في الإنسان روحه وأشرق فيه الوجه، ثم نزل من ذاته إلى أسمائه وصفاته ليحيط به إلى عوالم مخلوقاته، وكلما أنزله في عالم طبع فيه جميع ما يحتويه ذلك العالم من أسرارهِ وبركاته، حتى أقامه في أسفل سافلين بعد أن كان صاحب أعلا عليين، ليستوعب الكمالات والنقائص ويحيط بالمراتب على العموم والنعوت والأسرار على الخصائص، ففي أي مرتبة أقام نفسه فيها كان ولي تلك المرتبة وواليها فإلى ذلك أشار السيد المالك بقوله عليه السلام والتحية والإكرام: «المرء حيث وضع نفسه». فإياك أن تكون ممن جعل مكانه نحسه وجفا مكانته العليا وقده:

الزم فدتك النفس أعلا منزل وأقم هناك على الكمال الأفضل
 لا ترحلن عن ذلك المعنى فما في غيره خير فلا ترحل
 الخير كل الخير عند الله كن يا صاح ثم وعنه لا تتنزل
 فالشر كل الشر في نفس الفتى لا تأنها أبداً ولا تتعلل
 واحمل صفات الله لا مستثقلاً فالأمر أن يحمل به لم يثقل
 كن ذات ذاك الوصف في تمكينها منصرفاً بتعظم وتبجل
 وأقم هناك مدا الزمان ولا ترد عنه انصرافاً يا له من منزل
 هل بعد ذات الله مطلوب لمن يرجو علواً في الفخار الأكمل
 دع كل ما في الكون يعني جملة وأقم هنالك دائماً بتحمل
 فجميع ما تهواه ثم مهياً مما طلبت وكلما لم تأمل
 وإذا صرت هناك قلت لكلما تهواه يأتي صاغراً بتذل
 فاصبر قليلاً يا فتى تنل العلا والزم وقوفك بالحما لا تتعجل
 واحمل على جيش الصباية حملة تملك بها ملك الوجود الأول

يا هذا، افتح أذنك واستحضر ذهنك كل العارفين المتوجين من الحق بتاج التوحيد والمعرفة ما تصرف منهم في ملك الكمال إلا من أقام العمر كله في تلك الصفة، ومن تهور في الحقيقة لما تنزل وتصور ذلك المعنى إذا تعمل فهو المتسلي عن الله بالله من العارفين الفضل ورتبته دون رتبة الملازم للمعنى الأول إذ هو من

المحققين الكمل فلا يغرك قول من قال: إن النزول بالحق عن الحق إلى الخلق أكمل حال إنما ذلك بعد تحقيق الكمال صورة ومعنى بالتصرف والتمكين في سائر الصفات والأفعال، فمن نزل عن الحق إلى الخلق لطلب الأكملية قبل تمكينه من المكانة القطبية إنما هو مخذول مخدوع ومصرف عن المرتبة الألوهية، وموضع الخداع والمكر تسليه عن الحق بالحق في الخلق ليحط رحاله في المرتبة الكونية من غير علم له بهذه النكتة المخدعية، لأنه كلما رجع رأى نفسه منطلقاً في المكانة الحقيقية غير مقيد بالتقييدات الخلقية وفاته العلم بأنه ليس كذلك إلا بعد الصعود إلى هناك، فهو صاحب الشراب الممزوج الزنجبيلي المأخوذ من العين السلسبيلي الذي جعلت فيه قطرة من بحر الشراب الكافوري الذي هو شراب عباد الله صرفاً في الخلد الحقيقي من تحقق تخلق وتحقق ومن تخلق تمزق في الحق وما تخلق، كل من فرط حروفه فقط ففهمه غلط.

اسقني الصهباً صرفاً أحمر	ودع المزج لغيري أصفر
وامل كاسات المعاني كلها	أنا في شربي لها لن أسكر
لا تخف عريدة مني فما	أن من يوهيه أمراً مصدرا
أنا من يطلبني أهل الهوى	في دجى الوجد فأبدو منذرا
خمرتي ذاتي وكأسي وصفها	أبدأ غير شرابي لا أرى
لا أراني الله غيري أبدا	لا أراني لا أراني لا أرى

كن محمدي المشهد أحدي المحدث حيث قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، جعل فعله عين فعله وجعله غير جعله إلى أن ترقى إلى ما أبرزه لأجله وأظهره من كماله بقوله لعبده الكامل الأواه ﴿إِنَّ اللَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] لما اتحدت الأفعال اتحدت الصفات، ولما اتحدت الصفات اتحدت الذات ظهرت الأفعال والانفعالات وإلى ذلك المعنى أشار بقوله الله الرحمن الرحيم في كتابه عن كلامه القديم ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠] لما أضاف محمد في الأول فعله إلى الله أضاف الله إليه فعله في الآخرة فكان ﷺ ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] إذ هو العليم الولي المجيد القادر والعظيم القوي المريد القاهر، فاغترف بالسعادة من بحر الأحدية واتبع آثاره في منهج الكمالات الإلهية لتفوز بالمكانة القطبية وتنفرد بالغوثية الفردية وتدخل في طرف حاشية من حواشي تمكين الروح المحمدية عليه الصلاة والسلام ما دامت الموجودات الحقيقية وآله وصحبه خير البرية.

الفصل السادس

في سر تحبيب النساء إليه وتكثيره من
الزوجات، وكون ما أحب منهن حل له نكاحها
دون زوجها في محكم الآيات، ونكتة انقطاع
هذا الحكم بعد وقت من الأوقات

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أحب وجود العالم لمعرفة، وخلق
الموجودات على أكمل نظام بحكمته، فجعل كل شيء كاملاً راجعاً إلى صفته لظهوره
في كل موجود على حسب ما اقتضاه ذلك الموجود بقابليته، فالظاهر واحد والظهور
مختلف لوسع المظهر وضيقه ولطفه وكثافته، وكل مظهر له محتد ظهوري من ذات
الحق أو نعته، وذلك المحتد عبارة عن معنى من معاني كمالات الواجب بذاته
وصفته. فالموجودات منتظمة المعاني على حسب مقتضى أسمائه وصفاته التي
بحسبها يكون توجيه إرادته وقدرته في الظهور الوجودي عند التكوين بكلمته. والصلاة
والسلام على نور حضرته وطراز خلعته وزبدة مخيض معرفته وسيد أهل قريته وسر
ذاته وصفته، خاتم أنبيائه المخصوص بنبوته وتاج المرسلين المميزين بأعلى المراتب
من مكانته ومرتبته محمد بن عبد الله المبعوث من أشرف بريته؛ وعلى آله وأصحابه
وأزواجه وعترته وسائر أمته صلاة دائمة بدوام ألوهيته، إخواني فاز من توجه إلى
الحق بكليته ولازم على دوام التعلق بالله باطناً بقلبه ومهجته في استحضار كماله
الباقى وعظمته، وظاهراً بجسمه وصورته في أداء فرضه وسنته فهو الجزى الحقيقي
الخليق بحصول بغيته والمتحقق بثمرة توجهه ونتيجته.

يا هذا توجهك إليه علامة علو شأنك عنده ولديه إذ لولا توجهه إليك ما
اعتمدت بتوجهك عليه، أحبه فأحبه أرادهم فأرادوه، ولما قابلت محبته لهم

لمحبتهم إياه حصل النكاح المعنوي المثمر لفناء ما سواه، فيكون العبد حينئذٍ كما أن لم يكون والحق كما لم يزل، وهكذا الآن كما هو الأمر وحق الله لا بد للنتيجة من مقدمتين بحيث أن يكون طرفاهما متناسبين ليحصل التناكح بين القضيتين فيظهر الولد المسمى بالنتيجة في العين، ألا ترى إلى أن الحق سبحانه وتعالى لما أراد ظهوره من علمه بالعين خلق العالم وصوره على صورته في حضرة الأين، ثم تجلى على العالم بأسمائه وصفاته فعرفه كل ذي سمع وعين، فالمعرفة نتيجة التناكح المعنوي أي دخول حكم الأسماء الإلهية والصفات الربانية في حقائق العالم، فكان العالم مخلوقاً منه كما خلقت حواء من آدم، ومحمد نتيجة التناكح الصوري الآدمي الحوائي ﷺ فأدم سر العالم ومحمد ﷺ سر آدم، ولأجل هذا كان ﷺ محل المعرفة الكمالية بالله التي خلق الله لأجلها العالم، إذ هو أكمل موجود فتعين ظهوره بالنتيجة المطلوبة وهي المعرفة التي خلق الله العالم لأجلها في الوجود.

لولا سنالك ما حوت من البها	ما كان قد ظهر الوجود المطلق
أنت البديع محاسناً وملاحة	يبلى الزمان ووصفها لا يخلق
ضربن سرادق حسنك الباهي على	العرش المجيد إحاطة لا ترمق
فلك الولاء بإصالة وولاية	ولك العلى بتمكن لا يسبق
أنت المراد من الوجود وعلمه	بوجود موجدته فأنت محقق

محبتة ﷺ لنا عين محبته تعالى لمعرفته بلا خلف ولا عناء كما ورد في الحديث القدسي عن النبي ﷺ حاكياً عن الله فيما ترجم أنه قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتجليت عليهم في عرفوني»^(١)، أحب تعالى ظهور الحقائق فخلق لذلك الخلائق، وأحبه ﷺ للتحقق لكل حال ثم فكان حب العبد الأواه تبعاً لحب الله ولأجل ذلك قال: «حُب إلي النساء»^(٢) ليضيف الفعل إلى المتعال، ولم يقل أحببت بإسناده إلى نفسه في الحال فعين ما حبيبه لأجله، النبي ﷺ هو عين ما أحب الله بسببه العالم لأنه أحب ظهور ما لديه من الكمالات المعبر عنها بالأسماء والصفات، وهو عين المطلوب للنبي المحبوب فكأنما عبر بقوله ﷺ وشرف: «حُب إلي النساء» عن قوله: «فأحببت أن أعرف» فالذي قال: «كنت كنزاً مخفياً». هو القائل: «حُب إلي النساء» ولكن أضاف الفعل إلى نفسه أولاً للربوبية وإلى غيره ثانياً

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢٠١٤) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه أحمد في المسند، حديث رقم (١٢٣٠١).

لمظهر العبودية، فتأدب بآداب الكمال واختص بأن كان هو حبيب المتعال، وسر ذلك أن الحب أول توجه من الحق لوجود العالم ومحمد أول موجود ﷺ فكان أول التوجهات مقاماً لأول الموجودات.

الحب أول ذا الوجود المطلق والحب أخرجكم خلق مرتق
بالحب كان الابتداء لوجودنا وبه الختام لمن درى بتحقيق
لولا مقام الحب أعلى رتبة ما كان اسم حبيبه العبد التقي
فالحب علة كل أمر ظاهر والحب شيمة كل عبد متقي

ليت شعري هل علمت لم أحب المعبود ظهور هذا الوجود، أحبه لأنه أوجده نسخة جماله وجلاله فكان بوجود العالم ظهور كماله، فأراد شهود باطن صورة نفسه في ظاهر الحس المجعول مرآة لقدس ومظهراً لهيئته وأنسه، فنفسه المحبوبة المشهودة وملاحظته المطلوبة الموجودة، وكذلك محبة آدم لحواء كانت لكونها خلقت من ضلعه شخصاً مستوياً، فالمحبيب إذن له نفسه والمرغوب إليه حسنه المشاهد له حسه، والروح المحمدية في محبتها للذات الإلهية غير الوصف المذكور والأمر المسطور إنما أحب ذاته ونفسه وصفاته، وما ضرب ستار الغيرية بينه وبين الربوبية إلا لإبقاء المقام حقه، فلا يقال إن خلقه حقه وهكذا يفعل كل أديب وعارف ولبيب فقوله: «حُب إليَّ النساء» إشارة إلى الذات ولا خفاء لأن المرأة مخلوقة من ضلع الإنسان وضلعه ذاته بلا خلف وجحذان، والذات محبوبة بالطبع لكل أحد تأسيساً بمحبة الواحد الأحد، ولذلك صح لمحمد استيعاب الكمالات من سائر الجهات ففاز بكمالات الوجود الخلقى، فإن كنت مؤمناً فأنت منه لقوله: «والمؤمنون مني»^(١) فلا تخرج عنه أطلب مطلوبه وارغب مرغوبه واحبب محبوبه تشرب مشروبه، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، [الأحزاب: ٢٣] فاستيقظ يا هذا من هذه السنة.

إني رجعت إلى الحبيب بحبه في حسنه الباهي البديع الأحسن
وذهبت في أوصافه غنى به في شام معنى نعتيه والأيمن
ففنيت عني في بقاء جلاله وبقيت عنه في الملاحظة إذ فني
أعطيته ما كان لي بكماله وأخذت منه ماله بتمسكن
فتبدلت أوصافنا فينا بنا من غير وصف تحقق وتكون

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

إنما كان النساء تحرم على الأزواج ويحللن له إذا نظرهن بعين المحبة والابتهاج، تنبيهاً على أنه الأول بالكمال المطلق من كل مخلوق بالحق في الحق، فهو أجدر بكل صفة إلهية من كل خلق وأخلق وأكمل في التحقيق بها وأسبق، فهو المنعوت بالأكمالية ومن سواه به ملحق، وسر انقطاع حكم هذه المحرمات بعد العمل بها إلى وقت من الأوقات، إنما هو إشارة على أن السباق واللاحق بنسبة التفرقة في التعينات، وذلك مخصوص بالحجاب في دولة الغيرية والتغيرات، فإذا زالت الغيرية فلا وجود للثنائية، ينقطع هناك حكم الحلال والحرام والصيام والثواب والآثام بل وتذهب سائر الأحكام لظهور وجود الواحد كفاحاً بلا احتشام.

الفصل السابع

في سر تحب الطيب إليه ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي طيب نشر الملائ الأعلی بصفات الحسن والجمال ، وحلا المقربين من الكروبيين بنعوت المجد والجلال ، وخلع على الصفوة من أوليائه خلع الكمال ، فحبب إليهم الترقی إلى ذاته بملاحظة صفاته ، وحققهم بمعاني أسمائه وسماته ليظهر عليهم آثارها بوجوده وهباته ، آخذة بنواصي خلقه إليه من كلتا يديه فحجب الغافلين عن ذلك وكشف للحاضرين لديه .

فأدنى الخل إلى كل حسن	وبلاني بالعطايا والمحن
يرحل الشام بي آونة	ثم أخرى ينقلني لليمن
فتراني ذا صلاح مدة	وتراني ذا فساد في زمن
قلت ما لي لا أرى لي ثانياً	قط في أمري لعلی مفتتن
قال لي أنت لما أطلبه	آلة ليس لها فعل يسن
نحن نجديك على ما ينبغي	أمرنا أسمى علا وهو حسن
تدر من أنت إذا قلت فلا	وحياة الحب أدري أنا من

هؤلاء قوم أشهدهم جريان قدرته بين يديه فأوقفهم بواسطة تجليه في الأفعال عنده ولديه ، ثم اصطفى من أهل الحضور قوماً كانوا أعزة عليه ، غيبهم به عنهم فما شهدوا في العالم سواء ولا خطر ببالهم أن ثم موجوداً غير الله ، فما شعروا بالسكون والحركات ولا فطنوا لتعاقب الدهور والأوقات ، بل غابوا في الله وبالله عن سائر الموجودات ، لا يخطر في أنفسهم ذاتهم ولا يعرفون فعلهم وصفاتهم ، تفوح منهم روائح الجمال ونفائح الجلال لما قد تعطروا به من صفات الكمال ، لا يشعرون بما فيه من الأفعال بل ذاهلون في شهود الجمال فانون عن الوجود بكل حال :

مثال ذلك الصرعى من المجانين وإن كان الفرق شاسعاً ولا نسبة، ولكن وجود هؤلاء تقريباً مثالياً للناس عن بعض حالات الروح كمثال ما تفنى حاسة الشم لدى الإنسان، أعني تنصرف ضوابطها وقواها في رائحة الطيب التي يتطيب به صاحبها، فلا تقع قواها على معرفة غير ذلك مما قد يحيط بها من الروائح التي لا تبلغ قوة نفوذ العطر المتمخض به صاحبها، وهي التي لا يخلو ما يحيط بها من الأماكن من روائح كثيرة حسنة وقيحة، وبقدر قوة الطيب بقدر ما يكون استغراق قوى حاسة الشم فيه وعدم الالتفات إلى غيره.

أفناهم الحسن البديع المطلق	ففنوا به فيه لديه وما بقوا
كشف الجمال لهم نقاباً مطلقاً	فأروه من كل الجهات وحققوا
أخذتهم في البحر أمواج البها	وطفا عليهم ماؤه فاستغرقوا
هلكوا جميعاً في الملاحاة وحدة	فانين في التوحيد عما يطرق
لا يشعرون بموتة وبعثة	ونعيم جنات ولا ما يحرق
ذهبوا به فيه ذهاباً كاملاً	فتتوجوا بجماله وتطوقوا
شقوا بطيب الحق عن بين السوى	فتخلصوا عما سواه وما شقوا

لما هبت عليهم نسيمات العناية بطيب الكمالات امتلأت مشامهم بعبير عنبر تلك السمات، فامتسكت عن شم السوى بطيب مسك محاسن أسمائه والصفات، فهاموا به من الآزال إلى الأباد وانقطعوا في الوحدة عن الكثرة والأعداد، فهم المسمون عند أرباب الدرايات بأهل تجلي الأسماء والصفات، ثم اصطفى من هذه الطائفة الكريمة نبذة اصطنعهم للخلافة العظيمة فجردهم عن تلك المجالي وأوقفهم بهم في أسعد مكانات التعالي، ذهب بهم عن النعت والرسم والوصف والاسم فشهدوا ذواتهم بعين تلك الإشارة واستغنوا بهم عما لا تحويه العبارة، ففني عنهم في هذا المقام ما كان أفناهم من ذلك الحسن التمام.

أفنيته في باطني من بعد ما أفناني
هذا بهذا في الهوى لا تنكروا أفناني

هذه الطائفة هم أهل الذات، وهم الصفوة الذاتيون إذ غرقوا في بحر الذات فانطمسوا وهلكوا فيها واندرسوا، ماتوا موتة أبدية وعاشوا عيشة أزلية، فلا يرجون بعدها موتاً ولا حشراً ولا بعثاً ولا نشراً، بل لا يخطر بهم شيء غيرهم فكل منهم عينهم، لأنه هو الذات الساذجة الصرفة المطلقة المتحققة التي يعبر عنها بالوجود

الكلي والوجوب الحقيقي، ثم اصطفى من هذه العترة الشريفة نبذة قليلة لطيفة، حكمهم بذاته في معاني صفاته فتنزلوا بالذات في قوالب الأسماء والصفات وتلونوا بكل لون في الكمال من الجمال والجلال.

حكمني الحق بإسعافه في معاني الجمع من أوصافه
مكنني من مقاليد لها إنما التمكين في أعراقه

تهبّ على الوجود منهم في كل نفس نسمات عطرات ذات نفس تحيي بشميم
نسيمهم موات القلوب، وتوجد عندهم عياناً جميع أسرار الغيوب، انكسرت أوعية
قلوبهم من أجل محبوبهم، لا يوجد الله إلا عندهم ولديهم، فانزل بسوحهم معتمداً
عليهم، هم المطيبون بأطياب الكمال الملطخون بعنبر الجلال والجمال، وهذا
هو الطيب المشار إليه في الحديث النبوي الشريف ﷺ.

نسمات طيبك هيجت أشجاني وشميم عطرك عن سواك سباني
إنني سكرت بنسمة عطرية فيها روائح حضرة الرحمن
عطارها متقدس متنزه متصور طيباً بكل معاني
من شم منها شمة نال المني من كل ما يهوى بغير توانٍ
طيب لو أن الميت شم نسيمه لغدا حياة محيي الأكوان

الفصل الثامن

في سر جعل قرّة عينه في الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صلى على الصفوة من عباده الكرام وحيّاهم بتحياته والسلام، فجعلهم من أفضل الفرق وهداهم إلى أقرب الطرق، ظهر لهم في الكاف والواو والنون، وتجلّى لهم في كل حركة وسكون، فاستوت عندهم به الأماكن وتساوى لديهم عذر المتحرك والساكن، رأوا فعله في الوجود فلم يسندوا حقيقة عمل بعدها إلى موجود، تصور كل متحرك في الوجود عندهم كالقلم فاتخذوا نسبة وجود الفعل إلى الفاعل كنسبة العدم، أنشد لسان حالهم بلطف مقالهم:

لا فعل لي إن قلت إني فاعل	والقول لا قلّلي إذا أنا قائل
ما في الوجود جميعه من فاعل	شيئاً لأنك فعله والفاعل
كذب الذي هو مدع فعلاً له	بالانفراد فإنه بك جاهل
أنت الذي تعطي وتمنع في الوري	حقاً وتقطع من تشاء وتواصل
فعل البرية عين فعلك سيدي	وهم كالألات وأنت العامل

تفرق القوم عند هذا الشهود فسلك كل طريقة في الوجود، علماً بأن الآخذ بالنواصي هو فاعل الطاعات والمعاصي، فشتان حالتي العبد في العلمين وشبهان حركاتهما في الحاليتين، ليس لهذا بفعل الطاعة من عمل ولا لذلك فعل بإتيان الخطأ والخطئ، لكنه جعل المطيع ممن شمله الفضل، وصير العاصي ممن قضى عليه العدل فبفضله فاز المطيع الآيب وبعده هلك العاصي الخائب، وهذا المعنى قول ذي المتعالي هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي هؤلاء إلى النار ولا أبالي، لكنما المحب العاشق والمستهام الموافق يقول كلما صدر من المحبوب فهو غاية المطلوب ونهاية المقصود والمرغوب.

حكم سيوفك في رقاب أولى النهى ما ثم إلا طائع أو راضي
يروا مواقع مشيئته والإرادة فشغلوا عن مقتضى الشقاوة والسعادة واستوى
عندهم لمراده فعل المعصية والعبادة فسعوا على الأجفان إلى المراد من غير ما توقف
وعناد فقال قائلهم:

أتيت الذي يقضيه في مراده وعيني له قبل الفعال تطالع
فإن كنت في حكم الشريعة عاصياً فإنني في حكم الحقيقة طائع

هؤلاء هم أهل حقيقة السعادة ولهم دون من سواهم المزية والسيادة، لكنهم
متفاوتون في المعالي متميزون في التعالي، فالمُكْرَمُ الواصل والمذل الكامل هو من
أجراه الله في طريق الطاعة فأدام وصلته وأزال انقطاعه لأنه أوجده في مكارم
الأخلاق، فجد في أعمال البر كالصوم والصلاة لوجوده فيها محبوبه وشهوده مطلوبه
وإلى هذا المعنى الأعظم أشار النبي ﷺ بقوله عليه سلام الله: «وجعلت قرّة عيني في
الصلاة»^(١) فقرة عينه في كل حال وجود ذات الكبير المتعال، والمعنى أنه وجد
الكمال والسيادة في الجانب اليمين المعبر عنه بالسعادة فتحقق بالربوبية في عين
العبودية والعبادة، ومن ثم كان طريقه أعلى الطرق وفريقه أفضل الفرق لوجود آثار
الكمال في الطريق المخصوصة بالجمال وإلى هذا المعنى أشار سيد الوجود على
الإطلاق بقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢)، لأنه جمع بذاته الكمالات الخلقية
إلى ما هو له من الحيلة بالكمالات الحقية، فتمت له مكارم الأخلاق لجمعه بين
الوهب والكسب إلى ما هو له بالأصالة والاستحقاق.

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٩٢) تصوير بيروت.

الفصل التاسع

في شوقه ﷺ وعلى أهل وده إلى إخوانه الذين من بعده

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل قوابل أعيان الموجودات كمرايا متقابلات ليظهر في كل منها ما حواه الآخر بالذات والصفات، وذلك سر ظهور الوحدة في كثرة الممكنات، ولولا ذلك لما صدقت أسماء الكلية على الجزئيات.

أحمده على سوابغ الإعطاءات وسوابل الأغطيات حمداً متصلاً بالإثبات يكافي نعماء الباطنات ويوافي آلاء الظاهرات، مصلياً على نبيه صاحب المعجزات ومفتاح خزائن الآيات البينات، وعلى عوالم ديوان النعوت المرضيات وطرازكم خلعة المحاسن والحسنات ﷺ وعلى آله شמוש الكمالات، وأهله سماء المكارم والفتوات ونجوم مفاوز الهدايات وشرف وعظم ثم صل أبداً وسلم.

إخواني تنافسوا في الله منافسة منزهة من العلة، وابحثوا قلوب الرجال عن العلم بالله الكبير المتعال، تجتنوا ثمرات الحكم من شجرات أفئدة أهل الكرم، فإن شجرات تلك القلوب مثمرة يانعة الحبوب لا تسمح لكم أغصانها برمي الثمار إلا بعد هبوب رياح الباعث منكم والافتقار، وبتحريكها بيد البحث والاستفادة مع الإطراح على أبواب تلك السادة فكم من كلمة حكمة أوصلت القطيع البعيد وأرجعت الشريد الطريد.

يا دليل الركب أوصلني الحما	من ذرى سلطانه الهيف الدما
لا ترى لي راحة غير السرى	فاشتياقي قطعني سقما
ليس لي صبر عن الخل الذي	ببديع الحسن قلبي تيما
قسما أن قد سباني في الهوى	ومحاني في التصابي قسما

لم يزل يفني فؤادي والجوى حيرتي في الحسن منه والبهاء
دلني يا حادي العيس على ضاق والله سبيلي في الهوى
لست أدري من هم أو من أنا واعجيباه ما في الناس من
كما أرى في غريباً عجباً ما كأني مثل غيري أبداً
ليت شعري في زماني من له مسلك في الحب تخصيصي به
غير أني حائر في مهجتي آه لو أني أرى يوماً فني
كنت أحكي من شجوني طرفاً فيه حتى صيرني رمماً
حيرة لا أعرف فيها ألماً ما هي الحيلة في الأمر وما
ليس لي في الأرض نهج والسما أمرنا تفصيله منبهما
ينشدك عني يوماً أما من أمور أنا فيها ذا عمى
أنا فرد في المعاني علماً فهم ما أبرزوه من كل ما
ما لغيري فيه نهج فاعلماً حرت في الحيرة عنها كرماً
عنده من حالتي علم بما لم أجد من بعد بشي ألماً

إنما اشتاق ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده بعد أن كان في أصحابه من فاق أهل الغرام بوجهه وسبقهم إلى كل فضل بجهده وجده، لأن القلوب في سلوكها إلى المحبوب طرقاً عزيزة غريبة ومناهج شريفة عجيبة، ولكل طريق علم عجيب ووارد غريب، وعند ذلك السيد الحكيم مرهم كل جرح أليم، فما قبلت قوابل الصحابة من تلك المراهم إلا ما كان لجراحاتها في الهوى كالملائم، وبقي القلب المحمدي مشحوناً بالغرائب مملوءاً بالعجائب، فاشتاق إلى من هو أهل لسماع تلك المعارف مستحق للتجلي بطريق تلك المطارف ليتنفس في الهوى بتخفيف بعض أثقال الجوى، فإن في بث بعض الأشجان تنفساً للمكروب الولهان، ولا شك أن أعباء الرسالة مع ما اندمج تحتها من الجمالة والجلالة والكمالة أمر تعجز عن حمله طاقة الإنسان، ولو كان عنده قوة سائر الأكوان، ولذلك أشار إليه بقوله الرحمن ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ فلولاً القوة الإلهية له لما وجد لحمله سبيلاً، فالقاؤه إلى أهل الكمال من معاني معارف ذلك الجمال والجلال ينفس عنه من كرب الغرام طرفاً ويشفي صدره لكونهم يستشفون به من البعد والجفا، فارحل أيها الفقير منك فيك إليه وانزل بسوحيه بين يديه.

وخيم عنده ولديه واعتكف من الأزل إلى الأبد ليداوي جرح القلب الحسيس

بما عنده من ذلك المرهم النفيس فيشتفي من الداء الدسيس، إنما أخبرك عليه السلام بشوقه إليك تفضلاً ومنة عليك، لتجعل بينك وبينه طريقاً مسلوكة إليه فيك ومنك ولديك، فتحيى بالتحية والإكرام من الجنب المحمدي عليه أفضل الصلاة والسلام.

أبدأ إليك تشوقي وتلهفي	وعليك دون سواك فرط تأسفي
أشتاق حسنك ذا البديع ولا أرى	لك بالعناد ولست لي بالمنصف
أفتدعي حبي وأنت مصرف	عني عنائك بالبعد المتلف
وتجول في الأفعال سائل من ترى	عني وفيك توطني وتوقفي
قلبي وحقك منزل لك في الهوى	أبدأ وقلبك منزلي فلتعرف
شوقي إليك هو اشتياقك سيدي	نحوي فهل تك في التلاقي مسعف

أمر ﷺ أن يتحدث بنعمة ربه لكن حديثه مع كل أحد بما تقتضيه قابلية ذلك الشخص في فهمه وذكاء قلبه، فأنحسرت العقول والفهوم، وانحصر أهل التمييز والعلوم دون شأوه المنيع وشأنه الرفيع، وهو دائم الاشتياق إلى من يكون مستحقاً لذوق ذلك المذاق، فيخبره بأخبار الربوبية ويحدثه بكمالات الألوهية امتثالاً للأمر المطلوب وتنفساً للقلب المكروب وترقياً بالمنافسة في الله للعبد المحبوب.

نافس أخاك بعلم ما لم تعلم	في الله من أمر الكمال الأعظم
وابحثه عن أخبار ذياك الحما	فعساك الدرك منه ما لم تفهم
للحب أسرار وأرباب الهوى	أهل لأسرار الحبيب الأكرم
كل لديه من الغرام خصيصة	سر سواه لسره لم يعلم
فاسأل وناشد في الغرام أولي النهى	تدرك من الأسرار كل مكتم

الفصل العاشر

في سر قوله ﷺ لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المهيمن الواسع ذي المجد الباذخ المنيع
والشأو الشامخ الرفيع، أحمدته على أسمائه الحسنی وصفاته العليا حمداً يؤدي شكر
أيادي جماله ويقوم بواجبات مقتضى جلاله ويوفي عني بمستحقات معاني كماله،
والصلاة والسلام على أفضل الأنام وخاتم الرسل الكرام محمد بن عبد الله المبعوث
إلى الخواص والعوام وعلى آله وأصحابه مؤيدي الإسلام ما هما غمام أو هدر
حمام.

إخواني عليكم بمشاهدة الكمالات الإلهية في حقيقة الذات المحمدية، بصرف
وجود الحضرة إليها والتعديل بالشهود عليها لتصطادوا بقابلية شوارد المعاني وتغنموا
بوجاهته جميع الأمانی، وتسمعوا بأذن كماله مخاطبات الأنس في حضرات القدس
فتفوزوا بعلم مكتومات الأسرار المصونات عن أسماع الأغيار، ولا تقتصروا على
ذواتكم فما حوت غير صفاتكم، وليس لكل من الحقيقة الكلية إلا ما وسعته روحه
الجزئية، بخلاف الحقيقة المحمدية فإنها العقل الأول بل الروح الإلهية فأخذها منها
كلي بكلية القابلية، وأخذنا جزئي لقوابلنا الجزئية، ولا لأحد في الأنام طريق إلى
وجود كمال التحقيق إلا على ما شرحناه من الكلام في الأخذ بالقابلية المحمدية عليه
الصلاة والسلام، فإن شئت أن تحظى بمطلق الكمال وتبرز بالفعل ما هو لك بالقوة
من الجمال والجلال فتعلق من الحضرة المحمدية بالأذیال.

توسل بالحبيب إلى الحبيب	لتحظى بالتوصل من قريب
وعرس حادي العيس المطايا	بسوح النازلين على الكثيب
ويرد بالعذيب عليل حر	لأكباد تذوب من الوجيب

أخا الأشجان هلا قمت ليلاً ليلى في حمى سوح رحيب
تناديهما بالسنة التداني وتسمعها بأذان المجيب
وتبسط في بساط الأنس شرحاً بحال في مودتها غريب
وتحظى بالوصال على أمان من العذال والواشي الرقيب

إنما عرفك صاحب جوامع الكلم بأن له القدم الأقدم في القدم حيث قال: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»^(١)، وفي رواية له: «وقت مع الله لا يسعني فيه غير ربي» إلا لتعلم أنه ذو الشوق الأعلى ومن دونه في المقام الأنزل فتأخذ أنت بقابليته من ربه كل وصف أفضل، وترقى به في الكمال إلى المقام الأكمل. واعجابه كيف وسعت القلوب الحق تعالى ولم تسع الموالي أما تراه سبحانه يقول فيما ترجم به عن الرسول: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»^(٢) وقلب المؤمن مع وسعه لربه لا يسع محمداً مع الله في وقته المهيمن. إنما ذلك لكون وسع القلوب للحق المتعال على قدر قوابلها من النقص والكمال، وقوابلها جزئية المحتد في الأزل وروح النبي ﷺ كلية، فقابليتها كلية الأخذ بلا محال، فلأجل ذلك رجعت عنه القلوب القهقري وقد وسعت الحق بلا مرء وهذا أمر لا يطلع عليه إلا الكامل من الفقراء.

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢١٥٧) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٢٢٥٤) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

الفصل الحادي عشر

في سر قوله عليه الصلاة والسلام والتحية
والإكرام: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما
أثنيت على نفسك»^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله أهل الحمد والثناء ومفيض النور والسنا
ذي العز الشامخ والمجد الباذخ والفضل القديم والجود العميم والفخر الكامل
والكمال الشامل، الذي حمد نفسه بكل المحامد وأجرى لربوبيته العبودية من كل
شيء فكل موجود له خاشع وعائد، أحمدته بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا،
وأشكره لمجده الأسنى وأثني عليه بما على نفسه أثنى مصلياً على النور الأعظم
والطراز الموشم صاحب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] صلى الله عليه وآله
ما زمزم الحادي أو غنا.

إخواني إن كمال مرتبة الإنسان بتحقيق ثنائه على ذات الملك الديان وثناءه له
منوط على قدر معرفته بكمال الرحمن، ومعرفته بكمال ربه منوط بقابليته التي هي أثر
محتده من ذات الملك المنان، وعلى نسق ما أعطته المواهب القدسية من الاستعداد
لذلك الشأن.

أدم الثناء على الكمال المطلق	بالاتصاف بوصفه المتحقق
وانظر إلى الحسن البديع فإنه	لمن الثناء على السليح الأنيق
والحظ جلال العز في عظموته	فهو الثناء على العظيم المطلق

(١) رواه أحمد في المسند حديث رقم (٢٥٧١١) ورواه الترمذي في الجامع صحيح، حديث رقم (٣٥٦٦) ورواه مالك في الموطأ كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء برقم (٣١).

كن كيف شئت تكن لربك حامداً بالذات والأوصاف والفعل التقى
فجميع ما في الكون طرا حامداً لله عبد من سعيد أو شقي
إخالك تظن بأنه ما أوفى الواجب من المحامد إلا المطيع والعابد، بلى إنه لقد
أطاعه العاصي بعصيانه، وذكره الناس بنسيانته، وشكره الجاحد له بكفره وجحدانه،
فكل شيء خاضع لعزه ومجده وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

كل له مع ربه أسرار	وله عليهم نعمة مدرار
لا تحسبن المسلمين تخلصوا	بالفضل نالت فضله الكفار
هو واحد الحسن البديع وكلهم	لجماله في حسنه سفار
كل له في حسنه وكماله	نكت تحار لشأوها الأفكار
هذا الوجود جميعه بكماله	حسن ومن فيه به مختار
كل غريق ملاحه لشمائل	ومحاسن تصبو لها الأبصار
أثنوا عليه جميعهم بذواتهم	وفعالهم كل له شكار

الثناء من العبد لمن هو أهل المجد والحمد على أقسام بعدت عن دركها أفهام
الأنام؛ قسم هو الثناء الأزلي والحمد الأبدي حيث يثني كل موجود على ربه بعين
الوجود فهو حامد له بالذات والأفعال والصفات، وقسم هو الثناء الواجب على
اختلاف الأديان والمذاهب، وهذا الثناء في البيان يختص بما نطق به اللسان وذلك
حمد مخصوص بشرع منصوص فالأول على العموم والثاني على الخصوص، وقسم
هو الثناء بالجنان بالاعتقاد في كمال المنان وحسن الظن به باليقين والإيمان.

يا هذا لا تزعم أن حسن الظن فيه مقيد بفيضه وإحسانه الذي ترجوه من أياديه
هذا حسن ظن متعلق بالأفعال من غير محال، فأين أنت من حسن الظن بالصفات،
بل أين أنت من حسن ظنك بالذات، إن شئت أن تعرف ذلك فارجع إلي ببالك،
واعلم أن حسن ظنك بصفاته البديعة ونعوته العظيمة المتبعة هو أن تلحظ كل معقول
أو مسموع أو مشهود متخلفاً متصوراً بملاحظة ذلك الوصف البديع الموجود، فهو عين
الوجود وحقيقة ذات كل موجود.

انظر إلى الحسن البديع الزاهر	في كل شيء ظاهراً للناظر
وتلمح المعنى بعينك وابتهج	لمحاسن الوجه المليح الباهر
وانظر حقيقة كل شيء عينه	فالعين واحدة لراء حائر
حاشاك أن يك في الحقيقة غيره	والإله مزاحم بتغايير

اتخال أنك غيره أو في الوجود له سوى من باطن أو ظاهر
فلقد أسأت تأدباً إن كان ذا بالله ظنك في الزمان الغابر
فارجع إلى الظن الجميل تأدباً وانظره في مهما ترى الباصر
واسمعه في المسموع بل واعقله في المعقول واعرفه بغير تكابر
فجميع ما تلقاه عين واحد والله فيها ظاهر بمظاهر

يا هذا إنما الثناء على الله بما هو له أهل لا بما صوبه لك الفكر، والدليل بالعقل، أين أنت يا هذا هيهات من محل قوم أثنوا على ذاته سبحانه وتعالى بالذات بأن تحققوا له فيهم بما هو حقه من معاني الكمالات، فلما توسطوا في بحره العجاج وتلاطمت من كل جهة بالكمال تلك الأمواج، وأحبوا نهاية ما ينتهي من معاني ذلك الوجه البهي أخذوه تفصيلاً في الإجمال من غير تقييد تفصيل في الحال، فقالوا: لا نحصي ثناء عليك لكثرة ما نشهد من المعاني الكمالية لديك، إذ ضبط ما لا ينتهي محال فلست ذا نهاية بحال، أنت كما أثنت على نفسك تفصيلاً وإجمالاً فلك الكمال إجلالاً وإكمالاً وإجمالاً.

يفنى الزمان ومدح وصفك باقي يا حائزاً لمحاسن الأخلاق
أعجزت ألسنة الورى في نعتهم بمحاسن تعلو عن الإنطاق
عجز النهى عن درك وصفك قدرة العجز فيك نتيجة الحذاق

الفصل الثاني عشر

في سر قوله ﷺ عند انتقاله من دار الدنيا إلى
دار الآخرة في الرفيق الأعلى، وتكراره لها،
وكون ذلك آخر كلامه

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله خالق المعارج، ونور المراقي والمدارج،
الهادي لخلقه بمخلوقاته إليه، والدال لأوليائه بأسمائه وصفاته، عليه الذي تودد إلى
خواصه فأحبوه، وتعرف إليهم فطلبوه، أشهدهم جماله وجلاله في كل شيء من غير
حلول فشهدوه، وأوجدتهم ذاته في غير محل مخصوص فوجدوه، كملهم بكماله
وجملهم بجماله وأظهر على أيديهم آثار لطفه وأنوار جلاله. أحمده على ما يعلمه
لنفسه الكريمة من نفسه، وأشكره على ما خصني به من معرفة حظائر قدسه، وأثنى
عليه بما أسبغ من نعمه علي بالقرب الحقيقي المحفوف بأنسه. وأصلي على الوسيلة
العظمى ذي المحل الأعز الأسنى والنور الأظهر الأسنى والمقام الأكمل الأهنى،
صاحب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿[النجم: ٩]﴾ محمد بن عبد الله المبعوث إلى كافة
خلق الله بالهداية المطلقة إلى الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وخلفائه وعترته
وأنسابه والقائمين في محل الثناء به عنه من أمته من أحبائه.

أما بعد، فإن الإنسان له من وجوه المعاني وجهان؛ فوجه يكون به مع
الأكوان، ووجه يكون به عند الملك الديان، وهو في حال ظهوره بكل وجه يا إخوان
كامل بما يقتضيه ذلك الوجه من الذات والوصف والاسم والفعل والأثر والشأن،
فكأنه في الحقيقة ذاتان، فالوجه الأبعد له وجه العجز والحصر والافتقار والتقصان،
والوجه الأقرب منه له وجه العز والكبرياء والكمال والغنى والجود والإحسان، فهو
بالوجه الأبعد مسمى الكون بين الكيان، وبالوجه الأقرب مسمى الله الرحمن وفي هذا
المعنى قلنا.

خود لها وجهان هذا كامل عالٍ وهذا ناقص هو سافل
 هذاك نور ظاهر ومعارف علماً وهذا ظلمة وتجاهل
 هذاك عز شامخ مقداره حقاً وذا ذل حقير نازل
 رب بذلك في المعاني واحد عنه بذاتين التعدد حائل
 فالزم فدتك النفس في ذاتك العلى لا تعد عنه تغتويك معاقل

يا هذا إن الله مع كل أحد، والولي من كان هو مع الله الواحد الأحد، معية
 الرب للعبد عموم ومعية العبد لربه خصوص، ما كل مع الله والله مع الكل كما هو في
 الكتاب منصوص، فمن كان من أولي الألمعية فليشهد هذه المعية فإنه يتوصل بها إلى
 معارج الشهود ويتوصل بدوام استعمالها إلى مدارج الوجود.

توصل للتوصل بالمعاني بما تستطيع من شيم الرجال
 وجرد سيف عزمك باهتمام ولا تخشى الأسنة في القتال
 والمم بالمهالك غير خاش وغص بحر التفاني للآلي
 ولا تخف الممات على أياس ولا تخشى الهلاك على العوالي
 ولا تنظر سلمت إلى جبال ولا دون من الأقوال دالي
 وطالب نفسك الغرا دواماً بما نالته أرباب الكمال
 ولا تقنع بمرتبة وشأو ولا تركن إلى عظم المنال
 فذاتك فوق ما أسمى وأعلا ووصفك فوق أوصاف التعالي

يا هذا من لم يلق نفسه في المهالك فليس هو بالرجل السالك، لله قوم هجموا
 على الآساد في الآجام ومالوا عليهم بالضرب والإخراج من الآكام، حملهم على
 ذلك قوة اليقين وتحقيق الثقة برب العالمين، لا جرم أن جعلت عليهم يد العناية خلع
 الرضا موسومة بأنواع الهداية مطرزة بالمعارف والدراية، على قدر مخالفة النفوس
 يؤيد بالفتح من ذلك المقام المأنوس.

مر خالف هواك إذا أردت وصالنا واترك مرادك إن طلبت جمالنا
 نحن الذين نريد تارك نفسه لا من يراعي نفسه وأتى لنا
 لا تهو مصلحة لنفسك إن ترد أنا نعيبرك في البرية آلنا
 وأدم قيامك في مخالفة الهوى وأسرع إلى مرضاتنا لتنالنا
 وانزل لنا لا بالدعاوي عندنا واترك وجوداً منك في المعنى لنا

والحظ فذاك مشاهداً لبقائنا واعدم خضوعاً إن شهدت جلالنا
 من يدعي معنا وجوداً في الهوى فجزاؤه أن لا ينال وصالنا
 يا هذا دعواك الوجود بين يدي من هو عين كل موجود ذنب جزاؤه الجفاء
 ومعصية عقوبتها عدم حصول الصفا، فاترك بين يدي من تهوى تلك المهاوي، وتجرد
 عن محاسنك والمساوي، واصرف أمر وجودك إليه كيلا تكون من أهل الدعاوى.

ما في الوجود سواه من موجود هو عين هذا العالم المشهود
 هو عين مسموع سمعت وما ترى هو ما عقلت من المعاني الغيد
 هو عالم الملكوت والملك الذي تلقاه محصوراً على التجريد
 هو عالم الجبروت واللاهوت والناسوت والمعدوم والموجود
 فاشهده واجحد ما سواه لأنه ما ثم غير جماله المسعود
 يا أهل الحجاب إن أردتم كشف النقاب فعليكم بجحдан ما سواه من كل باب،
 وتصوروا بهذا المعنى واشهدوه ولاحظوا بالتعمل عدمية العالم واجحدوه فعن قريب
 تشرق أرضكم بنورها فتجدوه.

ويا أهل الكشف والشهود وأرباب الاطلاع والوجود عليكم بدوام الاسترسال
 بالتفنن بفنون ذلك الجمال، فعن قريب تتحققون بحقائق الكمال، وإنما التحقيق في
 التحقيق لأهل الاسترسال والفهم والتمييز في التدقيق، الذين لما كانت الصفات
 معارجهم أصبحت تجليات الذات مدارجهم، أول ما عرفوا الذات بالصفات ثم
 علموا الصفات علماً ثابتاً بالذات لما ساروا في أفلاك المعاني الصفاتية تلهذوا
 بالأنهماك في تلك المجالي الكمالية، فساروا في الذات بتحقيق معاني الصفات لا بل
 وقفوا في الصفات بتحقيق معاني أحكام الذات لا بل والله تخلصوا من هذه النسب
 واستراحوا من هموم التعب وزال عنهم حكم وجود الألم بعد التمكين والنصب
 بتحقيق أمر العظمة في التجلي المعروف بالحطمة، فعندها تمكنوا وبكل لون تلونوا،
 ولم يزالوا بعدها في التغالي ذاهبين إلى تحقيق أمر المعالي لا يقنعون بمجلى أجلى
 ولا يقفون في المنزل الأحلى ولا يستريحون في المستوى الزلفى، بل تابعين لآثار
 النبي ﷺ المصطفى في ذاته وصفاته وجميع أسمائه الحسنى لأنه دليلهم هنالك
 والمثنى عليهم بذلك في قوله لما قضى من العالم الدنياوي نجباً ووالى ثلاث مرات
 في الرفيق الأعلى إشارة إلى تحقيق أمر الذات صرفاً محضاً بالأولى وإلى حقيقة
 التمكين بالأخرى في كل وصف أجلى وإلى طلب ما لا نهاية له بالثالثة لئلا يتسلى
 إنما كان هذا آخر كلام الرسول في النفس الآخر عند القدوم من الدنيا إلى اليوم

الآخر إلا لتحقيق أمرك في الحقيقة مع الله على هذه الطريقة لكيلا ترجع عن الرفيق الأعلى الرحماني إلى الرفيق الأنزل النفساني والروحاني.

لا تصرفوا نظري عن المحبوب	ما إن سواه في الهوى مطلوبي
أنا من يغمر عليه أن ير غيره	في موضع يأوي له محبوبي
قلبي محل الخل بل كلي له	مأوى وما قلبي أخو تقلبي
لي في الغرام تمكن وتملك	من حسن ذاك الأبلج المحبوب
أصبو إليه وهو عندي إن ذا	عجب وما شأني إذن بعجيب

ولتكن هذه المقالة آخر هذه الرسالة والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب
والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.